مقدمة :

نفس الإنسان أعقد ما فى هذا الكون ، وتفوق فى درجة تعقدها أعظم الأجهزة الإلكترونية وأكثرها تطوراً ، ويكفينا قول المولى عز وجل " وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا " لكى ندرك من هو الصانع والمشكل لتلك النفس .

وسوف نحاول أن نغوص ونستكشف من خلال صفحات هذا الكتاب خبايا الذات وكيفية تصرفها فى مواقف مختلفة وأحداث متشابها من خلال عمليات نفسية متنوعة ، وكيف رصد القرآن الكريم تلك المواقف وعبر عنها بإعجاز فائق واحاديث مأثورة عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، منها الصحيح أو الحسن ، لم أتثبت من السند وانما اعتمدت على جوهر الحديث كمفسر للآية القرآنية مستبعدا الأحاديث غريبة المضمون والمتون ، وكذلك دور الصحة النفسية بأراء علمائها المختلفة للوصول إلى السلوك التكيفي للذات فى تلك المواقف المتباينة وكيف أن الصحة النفسية وعلمها الذى نشأت أصوله على أيدى غربية وجدت ضالتها المنشودة بين آيات القرآن الكريم .

فالذات (النفس) شئ معنوى بالنسبة لنا يوجد داخل الإنسان، ولكن الذى لا خلاف عليه أنها تختلف عن الروح التى بها يحيا الإنسان، فالكائن البشرى مكون من جسد يتأثر بفعل الجاذبية الأرضية فلا يمكنه أن يغادر الأرض إلا فى ظروف معينة مثل ركوب الطائرات أو صواريخ الفضاء، وبداخل هذا الجسد روح لا نعلم عن تكوينها شئ كما قال الله تعالى " وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً " سورة الإسراء . الآية ٨٥ ، ولكنها أشبه بتيار الكهرباء الذى إن إنقطع فنى الجسد وعاد إلى صورته الأولى من التراب الذى خلقه الله منه ، والروح تصعد وتهبط دون التقيد بصفات الجسد ، أما الذات (النفس) فهى المكون الثالث داخل الكيان البشرى .

فيذكر بعض العلماء أن الذات هى عبارة عن التركيبة التى تؤدى الوظائف المعرفية مثل الآنتباه والإدراك والتفكير والتصور ، والوظائف الوجدانية مثل المشاعر والانفعالات والعواطف ، ووكذلك الوظائف النزوعية مثل الحركة والكلام والإرادة .

ولعل قول الله تعالى " كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ "سورة آل عمران" . الآية ١٨٥ ، يعنى أن هذه التركيبة الفريدة من صنع الله تكابد وتعانى من مسألة خروج الروح من الجسد ، ولكنها تظل متلازمة مع الروح فى العالم الآخر حتى تنعم برضا الله أو تشقى بالمعاصى التى أقترفتها فى الدنيا ، ويحضرنى قول الأمام محمد متولى الشعراوى فى شرح خواطره عن الموت " أن الإنسان حين يفارق الحياة بالموت يظل محتفظاً بوعيه النفسى من إدراك الأحداث التى تحدث حوله فى الدنيا ومن رؤية عالم الغيب وما به ".

ومن هذا نستخلص أن الذات (النفس) تذوق الموت بالإنتقال من عالم الدنيا إلى عالم الآخرة ولكنها لا تفنى بل تظل فى وعى كامل حتى تتلقى بعد ذلك العذاب أو النعيم، ونختم كلامنا هذا بكلام سيد الرسل وأمامنا محمد النبى الكريم حينما وقف مخاطباً جثث المشركين بعد غزوة بدر قائلاً لهم " لقد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً ، فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً ؟ " فقال عمر بن الخطاب يارسول الله أتحدثهم وقد جيفوا (أصبحوا أجساد بلا أرواح) ، فقال المعصوم صلى الله عليه وسلم "والله إنهم أسمع لكلامى منكم".

وهنا يقصد النبى أن وعيهم النفسى وإدراكهم لم يمت ، فالذات باقية على حالتها حتى تستقر إما فى الجنة أو فى جهنم ، ولا يهمنا معرفة التركيب المادى لها بعد مغادرة الروح للجسد ولا أين تكمن حتى تقوم الساعة وما هو المدى التى ترتبط به بالروح ، ولكن ما يعنينا فى المقام الأول أن نفهم طبيعتها ونكشف بعض أسرار تكوينها.

دكتور / فكري لطيف متولي